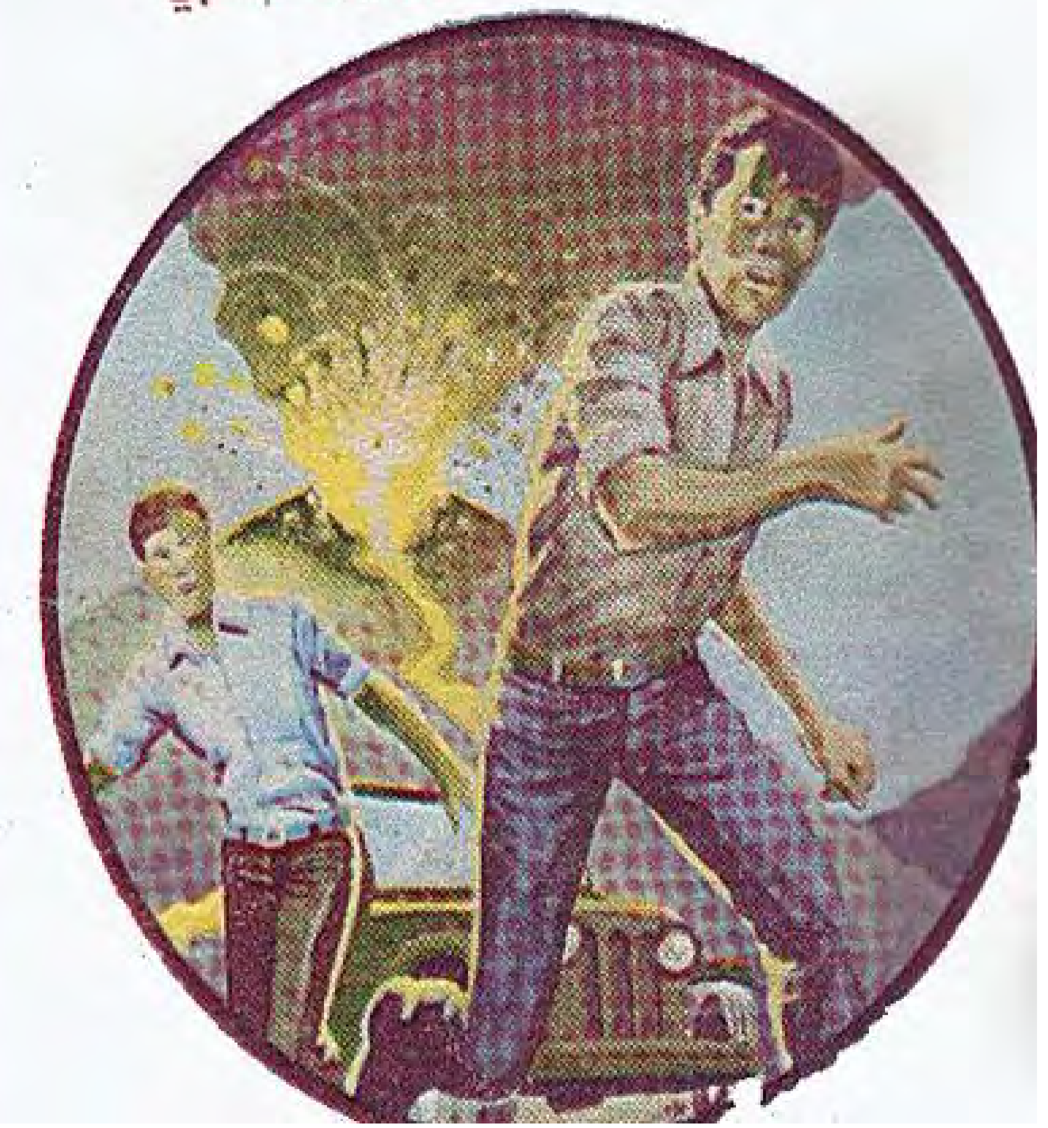
الأرض الغاضبة

عمّار المطلبي



الأرض الغاضبة

عمار المطلبي

الجزء الثاني

* *
مطبعة السعدون – بغداد
هاتف – ٨٨٨٦٣٣٢

الارض الغاضبة

كرة اخرى ، ابحرت سفينة « السيدة الرشيقة » ، متجهة هذه المرة صوب الشمال ، مخلفة وراءها اليابان وكوبو الذي عاد الى مدرسته ليؤدي امتحانا اخر في اللغة الانكليزية .

هرع الدكتور عبر السلم الى ظهر السفينة وهو يصيح :– « كابتن .. انشر اشرعة كثيرة ، وانشر كذلك الاشرعة المساعدة » .

تساءل القبطان :– « ما هذه العجلة ؟ » ..

أجاب الدكتور :– « لقد استلمت توا عبر اللاسلكي نداء من محطة دراسة المياه ، يؤكد فيه حدوث ثورة بركان على بعد مائتي ميل شمالا » .

نادى القبطان على أومو بأن يفك الاشرعة المثبتة ويشغل المحرك .

ثم سأل الدكتور :ـ « أي اتجاه ستسلك ؟ » .

أجاب :ـ « اتجه نحو جزيرة (مايوجن) » .

انعم الكابتن النظر في الخارطة امامه ولم يلبث ان قال :

ـ « ليس ثمة مكان بهذا الاسم .. المعلومات تقول ان «مايوجن» قد اختفت منذ اربعين سنة مضت ! »

قال الدكتور :ـ « انها تبرز الان مرة اخرى » .

وحين سمع روجر ، وكان يتمشى مع اخيه على ظهر السفينة ، حين سمع الحديث ، انبرى يستفهم من الدكتور :ـ « هل نحن ذاهبون لرؤية ثورة عنيفة لبركان ؟ » .

ـ « طبقا لمعلومات مسجلة الزلازل ، فانها ثورة عنيفة جدا ، ولو حدث وان ثار هذا البركان في وسط نيويورك ، فسرعان ماتزول تلك المدينة الكبيرة من

الوجود ! » .

سأل هال :ـ « من الذي أوصل الخبر ؟ » ..

ـ «» قبطان مركب لصيد الاسماك .. لقد كان قريبا جدا من البركان ، وكادت سفينته ان تدفن تحت الرماد لولا انه هرب في الوقت المناسب » .

ـ « وهل اخبروك بشيء اخر ؟ » .

ـ « لقد ارسلوا سفينة الاستكشاف البخارية (كيو مارو) ، وهي في طريقها اليه وعلى متنها تسعة علماء واثنان وعشرون ملاحا ، .. وربما حالفنا الحظ فلحقنا بها » ..

ـ « هل قلت ان ذلك البركان يصنع الان جزيرة طافية ؟ » ..

ـ « نعم .. كانت هناك جزيرة قبل سنين مضت ثم اختفت ، والان فأن جزيرة جديدة تظهر الى الوجود » .

ـ « وهل ذلك امر غير مألوف ، ان تكون البراكين البحرية جزرا ؟ » .

— « لا .. ابدا .. ان معظم جزر المحيط الهادي قد قذفت بواسطة براكين بحرية .. وحتى الجزر المرجانية ، فانها تنام على حافات براكين ! » .

— « وهل تبرز جزر جديدة باستمرار على وجه المحيط ؟ » .

— « نعم .. هناك الان اكثر من عشرين جزيرة في المحيط الهادي ، لم تكن موجودة قبل خمسين سنة مضت .. وهذا المحيط ، كما تعرف ، ذو طبيعة بركانية ، اكثر من بقية اجزاء الارض . اذ ان هناك في العالم ثلاثمائة بركان فعال ، ثمان وسبعون بالمائة منها في او حول المحيط الهادي . وربما كان هناك عدد كبير من البراكين تحت البحر ، لانعرف عنها شيئا وهي التي تقذف بالجزر بين حين وحين ..

وهذه الجزر لاتبقى طويلا ، في بعض الاحيان ، اذ سرعان ما تختفي مرة أخرى ..

— « وما الذي يجعلها تختفي ؟ » .

— « ربما كانت مكونة في أغلبها من الرماد البركاني ، وفي هذه الحالة ، فان الامواج تجرف ذلك الرماد شيئا فشيئا . وقد يزداد حظها في البقاء ، اذا كانت من الحمم الصلبة الجامدة ، ومع ذلك فانها لا تكون مأمونة اذا كان ثمة بركان تحتها ، فربماأطارها عاليا في الفضاء أو يقلصها فتغطس تحت الامواج » .

التقط الدكتور المنظار وراح يتمعن النظر أمامه ، فلم يلبث أن هتف صائحا :— « انني أراها ... عمود الدخان ! » .

ابتسم روجر وقال :— « انك تمزح معنا يادكتور .. لقد قلت انها تبعد عنا مسافة مائتي ميل ! » .

— « بل تستطيع أن تبصر على مسافة مليون ميل » .

— « مليون ميل ؟ » .

— « بالطبع ... فكيف تستطيع أن ترى الشمس والقمر ؟ »

ولكنك قد تقول لي ، كيف لا نستطيع اذن ان نرى

سفينة (كيو مارو) وهي لا تبعد عنا سوى مســـــافة خمسين ميلا ؟ » ٠٠٠

قال روجر :ــ « أوه ٠٠٠ أعرف جواب ذلك ٠٠ ان السفينة واطئة جدا فيخفيها انحناء الارض ، فـــي حين ان سحابة الدخان عالية جدا » ٠

ــ « ومتى سنصل ؟ » ٠٠٠

ــ « ربما غدا صباحا ٠٠٠ ما السرعة يا كابتن؟»

ــ « سبع عشرة عقدة بحرية في الساعةالواحدة»

تمتم الدكتور :ــ « يا للسفينة المدهشةالصغيرة!»٠

وكان السفينة قد فرحـت بهذا الاطراء فاندفعت فـــوق الامواج كسمكة طائرة ، لتلحق قبل حــلول الظــلام بسفينة (كيو مارو) ٠ واذ مرت بحذائها ، انحنـــى الفتية على الحاجز وراحوا يلوحون بأيديهم ، فيحين وقف على ظهر السفينة البخارية ، العلماء التســـعة وبعض الملاحين ٠

ولم يتمالك روجر نفسه حين رأى سرعة سفينتهم

فصاح :ــ « الحقوا بالجواد ! » ٠

ولو انه يعرف ان كل واحد من اولئك الرجالفي تلك السفينة سيغرق قبل أن يمضي يوم اخر ويموت ، أظهر ما أظهر من مرح ومزاح ٠

وابتسم اليابانيون الممسكون بحاجز السفينـــة ، واطلقوا صيحات الاعجاب لظهور سفينة « الســـيدة الرشيقة » وسرعتها العالية ، ثم لم يلبث الظـــلام ان اخفى سفينتهم شيئا فشيئا ٠

صاح روجر وهو يكاد يطير من الفرح :ــ «سنكون أول من يصل الى هناك » ٠

★ ★ ★

في تلك الليلة لم ينم الدكتور وجماعته الا قليلا، وكانوا يصعدون ، في كل ساعة ، الى ظهـــر السفينة ويتطلعون الى عمود الدخان والنار، يتصاعد أمامهم من البركان ٠٠٠ واذ اقتربوا منه بدا أكبـــر وأطول مما كان يبين ٠٠ وبدت قمته تشبه الرأس وهو ما يفتأ يرسل أذرعا من لهب فكأنه عملاق ينفث النـــار

والدخان ، ويوشك أن ينقض على السفينة البحـرية الصغيرة ، التي بدت الان وحيدة في هذا البحر الاسود العظيم مع عملاق شرير مرعب ضخم ! .

لم يعد روجر يجد في نفسه رغبة في الوصـول أولا ... وتمنى لو تبطيء (السيدة الرشيقة)فتسبقها سفينة أخرى .

اخترق برق ذو وهج ساطع غيمة الدخان والبخار وضرب البحر . ودوى الرعد دويا شديدا فكأن عشرات من العمالقة يصفقون بأيديهم وهم يضحكون .

والى جانب هذا الرعد المتكرر ، كان هناك هدير ثابت للبركان البحري نفسه ، وهو يرسل ملايين الاطنان من الحمم المحرقة والصخور المتقدة البيضاء الى اعماق الفضاء .

سأل روجر الدكتور :ـ « ما عمق هذا البركان ؟»

أجاب الدكتور :ـ « لا نعرف لحد الان ... لكنني اخمن انه قد يقع على عمق ثلاثمائة قدم » .

ـ « اذن لماذا لا تطفيء الماء النار التـي يرسلها البركان ؟ » .

قال الدكتور :ـ « ذلك سؤال جيد ، فمن المعروف ان الماء يطفيء النار ، والامر لا يحتاج الى ثلاثمائـة قدم من الماء ، فأن رشاشا منه ربما اطفأ بيتا محترقا لكن حرارة تلك النار ليست بعالية ، اذ هي تكفي لتحرق الخشب ، لا أن تصهر معدن من المعادن ، كما تفعـل حرارة باطن الارض ، التي تكون أعلى من الحـــرارة العادية بعشر مرات . لذا فان المحلول المتقد الذي ينطلق خلال الماء ، يحيل كل قطرة يلامسها الى بخار . وهكذا فبدلا من أن يبرد الماء النار ، فأن النار تبخره » .

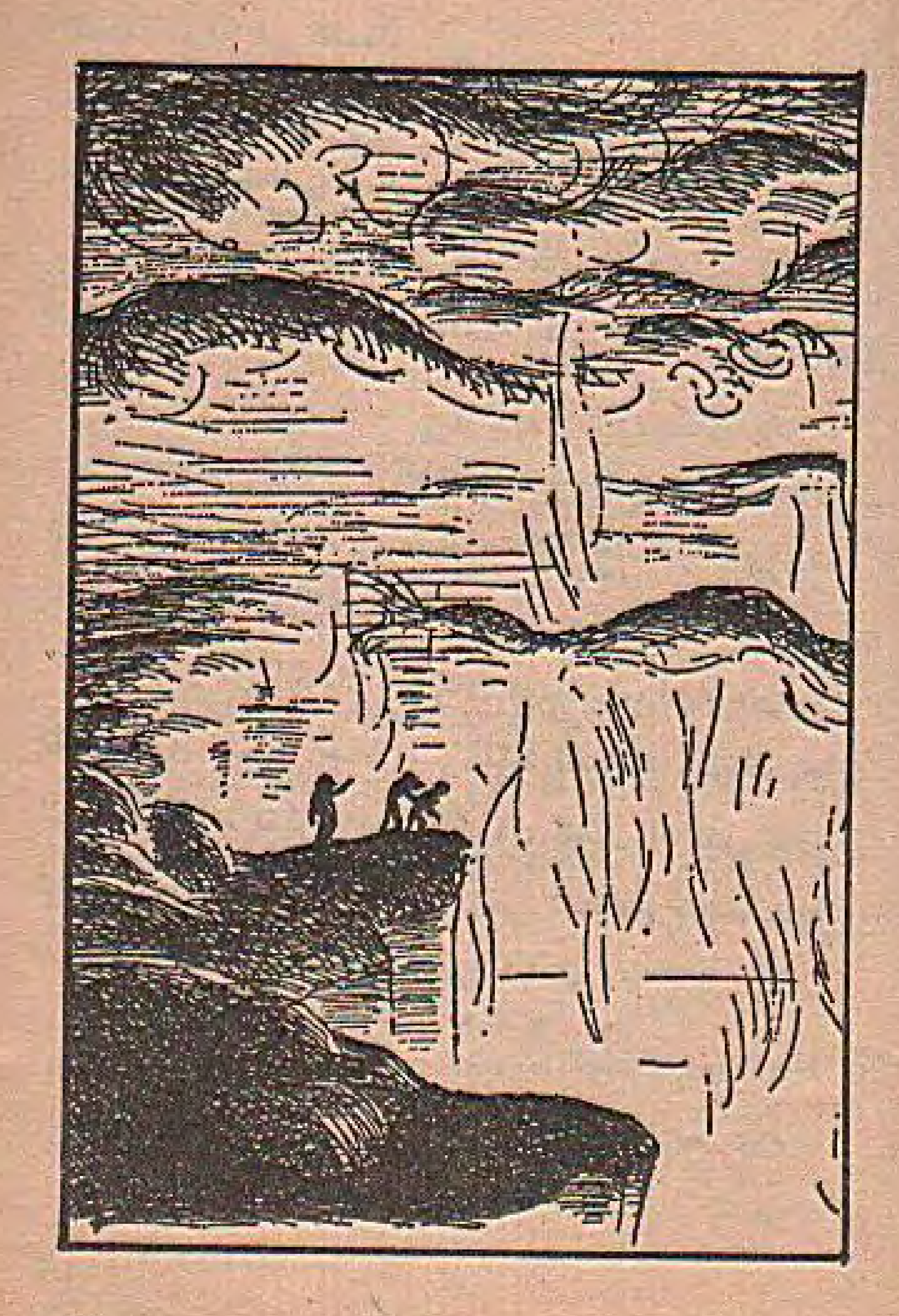
شطر خنجر متعرج من البرق السماء وضرب الماء على مبعدة مئات قليلة من الياردات من سفينة «السيدة الرشيقة» .

قال كابتن اك :ـ « أظن اننا اقتربنا كثيرا ... ما رأيكم بأن نتوقف هنا حتى مطلع النهار ؟ » .


فوافق الجميع

★ ★ ★

انزلت الاشرعة المثبتة وكذلك شراع السارية الامامية ، تهيؤا للمبيت لكن النوم كان امرا غيرمعقول وسط زمجرة البركان وهديره الاصم ، ووسط الصواعق



المحلقة فوقه في السماء .

وكان البرق يشبه العابا نارية ، تضيء اميالا من البحر ، ثم تنطفيء فيعود مظلما مرة اخرى .

اما عمود الدخان ، فانه ظل متوهجا ، تضيئه ابخرة الحمم البيضاء الساخنة التي تنطلق في الفضاء .

هكذا ، توقفت « السيدة الرشيقة » عن المضي الى امام ... لكنها لم تلبث ساكنة هادئة ، بل راحت تنط وتثب مثل غزالة خائفة !...

وكان كل انفجار للبركان يرسل امواجا عارمة تندفع فوق سطح البحر ، وتلتقط السفينة وتقذف بها الى الفضاء ، لتهوي بعد ذلك في الغور العميق الذي تصنعه تلك الامواج الهائجة التي تصطدم ببعضها مرسلة نافورات من الرذاذ الى الاعلى .

* * * * *

— كراش

كان ذلك أسوأ انفجار يهز البحر ...

صاح الدكتور : « امسكوا جيدا بالحاجز أو بالحبال » . فرموا بانفسهم ولبثوا ينتظرون .... وإذ مرت بضع دقائق ، التفت هال نحو الدكتور وقال :

— « لا اثر للموج الهائج ... يبدو انه ليس بغضب حقيقي ! » .

قال الدكتور : « من يدري ... انه يحتاج الى قليل من الوقت كي يصل الى هنا » ...

وفجاة ... صاح روجر :— « انظروا ... ما هذا الشيء الذي يتقدم نحونا » .

فتطلعوا الى حيث يشير روجر بيده ، فرأوا جدارا شاهقا يسرع نحوهم .... جدارا أسود في علو الصواري سرعان ما أطبق على السفينة الصغيرة الخائفة .

تكور الرجال وانتظروا .... فلم يلبث جدار الماء أن انفجر فوقهم عنيفا صارخا !...

وجد هال نفسه ، بعد أن تقطعت الحبال ، يطير من على ظهر السفينة ويصطدم بالحاجز ليتعلق به

هناك بيأس .. وانتظر ، وقد مالت السفينة على جانبها ، انتظر أن تنقلب وتسلمهم للامواج .

لكنها لم تفعل ! .... لقد عدلت تلك السفينة الشجاعة الصغيرة نفسها . ونفضت الماء عن ظهرها واستوت سليمة شامخة !

صرخ روجر وهو يلهث :ـ « يا للماء المحرق ! .... أين أنت يا هال ؟ » .

فلم يسمع جوابا ... كانت الظلمة حالكة صامتة !...

نادى ثانية :ـ « أأنت هنا ؟ »...

أجاب هال هذه المرة بضعف :ـ « نعم ... أنا هنا ! » ...

صرخ الدكتور محذرا :ـ « ثبتوا انفسكم ثانية... هناك المزيد من الامواج ! »

وجاءت الامواج هذه المرة ، اصغر من سابقتها، لكنها مثلها ! .. أحرقت أجساد الرجال وجعلتهم يختنقون ويحركون بايديهم وارجلهم ، طلبا لقليل من

الهواء .

ولطم وجه روجر شيء صلب قاس ، فمد يده وانتزعه ، ولم يلبث أن صاح :ـ « لقد بدأ يرمينا بالاسماك ! » .

أجاب الدكتور :ـ « نعم ... لقد تجمع عندي كثير ... سوف تكون وجبة فطور شهية » .

ـ « لكن .. لم بدأت هذه الاسماك تتقافز خارج الماء ؟ » .

ـ « لقد صعقتها الحرارة ، وجعلتها تطفو على سطح الماء ...

انظر ! ... ليس ثمة مكان كهذا يناسب اسطولا من قوارب الصيد ، اذ يستطيع اصطياد الاف الاطنان دون جهد كبير » .

ـ « هل تسمع الطيور ؟ ...

امتلأ الهواء بصراخ النوارس وطيور الخرشنة وهي تدوم فوق المياه **المظلمة السوداء** .

ـ « لقد جاءت تصطاد الاسماك هي الاخرى ...

لكنها لا تعرف انه مكان خطر ، وستأسف على جشعها الذي جاء بها الى هذا المكان ! » .

واذ قدم الفجر وانقلبت السماء السوداء الى سماء زرقاء ، تبدى للرجال على متن « السيدة الرشيقة » منظر غريب .

كان مارد البخار والدخان والحمم الطائرة يتصاعد من الماء ، محلقا نحو السماء ، مثل غيمة مرعدة ! ولكن، من رأى غيمة تقف على الماء وترتفع ميلين ، عاليا في الفضاء ؟ غيمة ، شعرها مجدول بشرائط من ضوء تشبه الثعابين ! ... ويتدحرج على جانبيه الرعد الاصم !

لم يكن ذلك البحر من أمواج ، فهو ما يفتأ يثب ويتحدب ويرسل تلالا من ماء حادة الذرى ، يندفع منها البخار !

كان البحر كله يفور ،غاز الساخن الهارب من الاعماق ، ونافورات الغاز والبخار تنطلق هناوهناك.

وغير بعيد .... ما فتأت دوامة كبيرة تكتسح

ما أمامها وهي تدور وتدور ، محاطة بجدار من الماء ، وفي وسطها هوة عميقة ليس لها قرار . فاذا ما أمسكت هذه الدوامة بسفينة صغيرة كسفينة «السيدة الرشيقة» لارسلتها من فورها الى قاع المحيط ! .

صاح روجر :ـ « لم أر في حياتي مسكا كثيرا كهذا » ..

وعلى الجانبين .. كان السمك طافيا علىظهوره، بعد أن تخلى عن كفاحه من أجل الحياة .

فجاة ، اندفعت سمكة قرش طولها عشرون قدما خلال الماء ، وهي تزدرد عشرات الاسماك الصغيرة الطافية ... وفي اللحظة نفسها ، رأى الفتية سمكة قرش ثانية ، ولم تلبث الامواج أن أزدحمت بهنفاغرات الافواه ، كاشفات عن اسنان كبيرة كالنصال ما تفتأ تطحن مجاميع كبيرة من الاسماك .

صبغ الدم الماء بلونه الاحمر ، جاذبا المزيد من أسماك القرش ... لكنها لم تكن لتترك تتمتع لوحدها بفطورها الشهي اللذيذ .

فقبل أن تصل سمكة القرش الى صيدها ، كانت الاف من الطيور تندفع قبلها ، ثم تحلق به في أعـالي السماء .

ارتفعت الشمس في كبد السماء المدخنة مثل كرة من نار ... وضع الدكتور المنظار على عينيه ، فلم يلبث أن هتف قائلا :ـ « كيو مارو ! » .

وخلال ساعة ، وصلت السفينة اليابانية ، لكنها لم تدنو من « السيدة الرشيقة » ، فربما جعلهما البحر الهائج تتصادمان ...

اندفعت « كيو مارو » لتقترب أكثر من البركان.

سأل روجر :ـ « ماذا سيفعلون ؟ » .

أجاب الدكتور :ـ « سيقومون بمسح المنطقة ، واذا ما ظهرت جزيرة جديدة فسوف يقومون بقيـاس طولها ، عرضها ، ارتفاعها ، وعمق البحر حولها .. ثم تطبع هذه المعلومات في خارطة بحرية يزود بهـا البحارة ، الذين لن يجرأوا على الابحار من دونها » .

قال روجر :ـ « ولكني لا أرى اية جزيـرة جديدة ؟ »

قال الدكتور :ـ « من الصعب عليك ان تـرى بسبب الدخان .. خذ هذا المنظار ووجهه نحو اسفل الغيمة » ..

فعل روجر ما اشار به عليه الدكتور ، فلم يلبث ان صاح متعجبا :ـ « أوه .. ذلك الشيء الاسـود الكبير .. لقد ظننته غيمة .. ياللعجب .. ان طولـه ميل او ميلان وارتفاعه مائتا قدم ! » .

اضاف الدكتور :ـ « ويزداد حجمه كل لحظة ، وقبل اسبوع مضى لم يكن هناك شيء سوى الماء ! » .

والتفت الى القبطان وقال :ـ « سيد (اك) .. هل لك في جولة حول الجزيرة » .

قال القبطان :ـ « بكل سرور .. شريطة ان نبقى على مسافة بعيدة عنها ، فلست في توق شديد لاضاعة سفينتي ! » .

شقت سفينة « السيدة الرشيقة » طريقها عبر بحر من السمك الطافي وسحائب من طيور زاعقة صارخة .

واذ اقتربت قليلا ، امالت الريح المتغيرة عمود الدخان والنار عليها ، وبدأ الرماد وفلذات الحمم ينهمران على ظهرها فيشعل حرائق صغيرة سرعان ما يطفئها الرجال .

خاطب الكابتن الدكتور ، وقد بدا على وجهه الهم والقلق :ـ « دكتور .. كيف تستطيع ان نخرج من هنا سريعا ؟ » .

رفع الدكتور رأسه عن الاته وملاحظاته وقال :

ـ « أود ان ابقى وقتا اخر .. انه لامر مثير للاهتمام » .

زمجر القبطان وهو يبتعد

كان لايستطيع فهم تلك العاطفة التي تمتلك العالم فتدفعه لدراسة مظاهر الطبيعة وقواها .

وحملت الريح الدخان فوق السفينة وحجبت

الشمس .. وجعلت الغازات ، التي امتزجت بالدخان والبخار ، الرجال يكحون ويسعلون .. وتهاوت الطيور التي اختنقت ، مجاميع على ظهر السفينة الصغير .

وعلى الرغم من الظلام الخفيف ، كان بأستطاعة الرجال ان يروا سفينة (كيومارو) تبحر مقتربة من الجزيرة البركانية ، ثم لم تلبث سحابة من الدخان والغبار ان حجبتها عن الانظار .

فجأة اهتز البحر بعنف ، فارتجفت السفينة ووثبت من مكانها .

صاح الدكتور :ـ « هزة ارضية » .

وكانت هناك دمدمة بدأت تعلو بانتظام كأنها قرع طبول في اوركسترا ، ووضع روجر يديه على اذنيه كي يحجب عنه تلك الضجة التي تصم الاذان .

بدت تلك الدمدمة وكأنها تتصاعد من مركز الارض .. حتى اذا اقتربت ، راحت تعلو شيئا فشيئا لتنتهي بضربة هائلة يظن السامع عندها ان العالم قد قلب وانشقت الارض !..

صاح الدكتور على الكابتن :ـ « وجه السفينة الى الاعلى ، ثمة موجة كبيرة قادمة نحونا » .

لكن تلك الموجة العارمة الهائجة صدمت سفينة (كيو مارو) القريبة من البركان .. وراها الدكتور وهي تتمرغ في البحر المضطرب ، وتحاول ان تتفادى الانقلاب .

ولم تلبث الامواج ان اندفعت نحو سفينة «السيدة الرشيقة» ، فالصق الرجال انفسم بالحبال وتنفسوا بعمق ، فما هي الا لحظات حتى كانوا تحت ماء ارتفاعه عشرون قدما !.. ماء هائج يهدد بعنف ، ويحاول ان يقتلعهم من اماكنهم ليلقيهم في دواماته التي لم تهدأ لحظة واحدة .

وحمل الطوفان الطيور الميتة الملقاة على ظهر السفينة وقذف بها بعيدا .

ومرت اطول دقيقة ، عرفها الرجال ، قبل ان تخرج سفينتهم ، مثل غواصة وتستوي على سطح البحر مرة اخرى .

كان اول شيء فكر به الدكتور هو (كيو مارو) .. ماذا حل بها .. « اه .. ايها القبطان .. انها تغرق » ..

ولكن القبطان لم يكن في حاجة لاحد ليخبره .. لقد اتجه بسفينته نحوها .. وحين اقتربوا منها ، كان كل الذي رأوه حطاما طافيا وقد تعلق به بضع رجال !..

اين ذهب الباقون .. اين ذهب اثنان وعشرون ملاحا وتسعة علماء .

تقدمت « السيدة الرشيقة » لانقاذ الرجال المتعلقين بالحطام .. لكن عصفا ناريا اثار اعصارا قذف بالسفينة بعيدا ..

والان .. لم يعد هناك سوى رجل واحد معلق الى قائم خشبي صغير تتقاذفه الامواج .. رمى الرجال اليه الحبل ، لكنه لم يصل اليه .. وحين حاولوا ثانية ، التقطت الريح السفينة وقذفت بها على مؤخرتها ، ثم حملتها مثل رقاقة خشبية والقت بها الى عرض البحر .

فجاة .. سكنت الريح ، وخيم الصمت والهدوء .

فسأل هال :ـ « هل سنعود ثانية لذلك الرجل ؟ » ..

تمتم الدكتور :ـ « لافائدة .. لقد رأيته يغرق ! » ..

وأثقلت المأساة على قلوب الرجال .. بأي حزن سيتلقون الخبر في طوكيو .. ومع ذلك ، ينبغي ان يبرق به ..

وفي نشرات اخبار محطات دراسة المياه ظهر تقرير موجز بعنوان : « كيو مارو »

ـ تعلن محطة دراسة المياه بأسف عميق عن غرق سفينة المسح اليابانية « كيو مارو » مع جميع من كانوا على متنها .

لقد قدم اولئك الرجال حياتهم في سبيل تقدم البشرية ، ولم يوقفهم خطر او خوف .. بل القوا بأنفسهم في خضم الارض الغاضبة كي يعلنوا عن ارادة الانسان .

ـ ٢ ـ

في أعلى نقطة في السفينة ، جلس هال الى الدكتور دان .. ومن مكانه ذاك ، كان باستطاعته ان يبصر بدفقات البخار ، تنبجس من البحر شبيهة بالحيتان .. وثمة دمدمة ثابتة والجو يعبق برائحة الكبريت ..

وفي البعد .. كانت الجزر الصخرية ترقط المحيط .

قال الدكتور :ـ « انها تسمى بالجزر البركانية ولكنك لاتستطيع رؤيتها تماما فهي ترقد تحت سطح البحر .. وها نحن الآن فوق واحدة منها !

ـ « فوق جزيرة ؟ » ..

ـ « نعم .. لقد أطلت براسها فوق الامـــواج فـــي شـــهر تشريـــن الثانـــي عـــام ١٩٠٤م .. وكانــت مكونــة مــن الصخــر بمحيــط يبلغ الميليــن وساحل من الخفاف الناعم الرقيق .. لكنها لم تلبـث طويلا اذ اختفت قبل سنتين ! » .

قال هال :ـ « اتبصر يا دكتور ذلك الدخــان .. في الافق البعيد ؟ . أيكون بخارا ؟ » .

قال الدكتور :ـ « كلا .. بل هو بركان اخــر . اسمه (يور اكاس) .. ولقد اترفع فوق البحــر حيث غطست بعض الجزر » .

لم يصلوا الى ذلك البركان الا في الليل ، فقذف الفتية بانفسهم من أسرتهم المثبتة ، وهرعوا الى السطح ليلقوا نظرة عليه .

انهمر الرماد على سطح السفينة التي راحــت ترتجف وتهتز من الانفجارات .. وبدا « يور اكاس » عمودا من النار طوله الف قدم ، مكلل بعمود من الدخان

يمتد الفا اخرى .

وارتدى الجبل رداء حمم أبيض ساخنا ، واضاء البحر بناره لمسافة اميال ، وبدا مثلما ينبغي لبركان ، شاهقا مدببا ، متوجا بالفوهة ، ناعم الجوانب بالحمم والرماد !

كان روجر متحيرا .. لقد بدا الجبل ، وكأنــه يلبس قبعة من الثلج !..

ـ « ماذاك الذي في القمة .. أثلج ؟ »

قال الدكتور :ـ « بل كبريت ابيض » ..

انهمرت سيول الحمم المتقدة من قبعة الجبــل البيضاء وهبطت صفحته المسودة الــى البحــر .. وتصاعد البخار ، حين ضربت الحمم الماء ، متوهجــا بالضياء ، فبدا البركان وكأنه يطفو باكمله على طبقــة من نار ! ..

وما فتأ عمود الدخان المتوهج يتراقص ويلتــف على نفسه ، فكأنه لسان تنين عظيم يلعق وجه السماء السوداء !

وفي كل لحظة ، يقذف انفجار مروع بقطع ضخمة من الحمم والنار والرماد .

قال الدكتور :ـ « ربابنة السفن يسمونه بـ « بيت الضوء » ،وهم يستفيدون منه في تحديد اتجاهاتهم، فهو يرى في النهار على بعد مئات الاميال ، على شكل عمود من دخان ، اما في الليل ، فعلى هيئة عمود من نار ! » .

★ ★ ★

بعد ايام ، من الابحار المتواصل ، اعلن الدكتور انهم باتوا يبحرون فوق جزيرة غارقة . واضاف :ـ

ـ « انها جزيرة « فكتوريا » ، احدى الجزر التابعة للامبراطورية البريطانية يومذاك .

ولهذه الجزيرة قصة طريفة ، ففي يوم من الايام القى رجل اسمه (مارسترز) رحاله فوقها ، بصحبة مجموعة من الرجال ، كي يجمعوا سمادا طبيعيا يكونه ذرق الطيور البحرية يدعى بـ « جوانو » .. وحالفهم الحظ ، فعادوا بحمل سفينة ثقيل منه . ثم لم يلبثوا بعد سنة ، ان رجعوا الى المكان نفسه ، فلم يعثروا

على اثر لجزيرتهم تلك .. وحينئذ فكروا انهم ربما اخطأوا في حساباتهم ، فمسحوا البحر في كل اتجاه لمسافة مائة ميل . ولم يجدهم ذلك نفعا .. اذ كانت الجزيرة تحتهم ، مخفية بالامواج » .

قال هال :ـ « كم اود أن اغوص فارى جزيرة غارقة ! » .

قال الدكتور :ـ « حسن .. وذلك ما سنفعله غدا صباحا ، حين نصل الى « عفريت العلبة ! » .

تساءل هال :ـ « ولم يسمونها بهذا الاسم » ..

ـ « لانها تبرز وتختفي ، تعلو وتهبط ، كالنابض الذي ينطلق فجأة حين تفتح غطاء العلبة ! .. وعلى اية حال ، فاني أرى ان اوفق اسم لها هو « جزيرة الصقر » ، حيث اكتشفتها السفينة الحربية البريطانية « الصقر » عام ١٨٦٥م .

لقد ظل البركان الثائر يقذف بالحمم والصخور ، حتى كون جزيرة طولها ثلاثة اميال . ولانها كانت قريبة من جزر تونجا ، فقد ضمها ملك تلك الجزر اليه .. وظل

اهل تونجا يرقصون طوال الليل على شرف جزيرتهم الجديدة التي وهبها لهم اله البحر .. ولكنها سرعان ما اختفت بعد ذلك ، فأحزن ذلك الناس واغمهم ، فأحرقوا اله البحر ، لكن ذلك لم يعد اليهم جزيرتهم .. فعادوا وصنعوا دمية تشبهه ، ثم طعنوها بالحراب ، وأحرقوا اصابع يديها وقدميها . وحين وجدوا ان ذلك



الى الساحل وراحوا يغنون ويخاطبونه بأعذب النعوت والاسماء ويرمون بالطعام الى الماء ·

وكان لذلك فعل السحر !·· اذ ثار البركان البحري ، وظهرت الجزيرة ثانية !·· لكنها لم تلبث ان اختفت قبل عشر سنين » ·

سأل هال :ـ « هل تظن انها ستعود فتبرز مرة اخرى ؟ » ·

أجاب الدكتور :ـ « ذلك ما احاول الوصول اليه · وقد سجلت السفن اضطرابا في هذه النقطة من البحر » ·

★ ★ ★

في الصباح الباكر ، هرع الفتية الى ظهر السفينة ليجدوا ان سفينتهم قد توقفت في عرض البحر ··

قال الدكتور :ـ « يجب ان تكون جزيرة (عفريت العلبة) تحتنا تماما ·· اصغوا ! » ··

وحين أصاخوا السمع تناهت الى اذانهم دمدمة مكتومة ، ثم انطلقت نافورة بخار من البحر ·

برقت عينا الدكتور بنظرة غريبة ، وضغط بيده على صدغه ، كما لو ان ألما مفاجئا اصابه ·

رأى هال ما أصاب الدكتور فاقلقه ، وفكر ان الغوص امر ليس باليسير للانسان العادي ،فكيف بالدكتور الذي لايعرف عنه شيئا كثيرا ··

ولم يلبث ان سأله :ـ « هل جربت يا دكتور الغوص قبل الان ؟ » ··

أجاب الدكتور :ـ « شيئا ما » ··

ـ « كم مرة ؟ » ··

ظهر الامتعاض على الدكتور وقال :ـ « ما هذا ؟· استجواب ؟ » ··

قال هال :ـ « انا اسف ·· لقد مررت ـ كما تعرف ـ بأوقات عصيبة واظن انها اخافتني قليلا ··

أجاب الدكتور :ـ « لا حاجة بك الى الغوص اذن » ·

اقل هال :ـ « ليس ذلك ·· كنت اتساءل بشأنك

حسب ! » .

قال الدكتور بشيء من الانفعال :ــ « حسن .. ان عملي يأخذني الى قمم البراكين ، لا الى اعماق البحر .. لكني ادرك مع ذلك ان الغوص بــ (الرئة المائية) هو عمل بسيط .. واذا اردت انت وروجر ، ان تبقيا على سطح السفينة فهذا شانكم » .

أحمر وجه هال ، وحاول ان يحتفظ بهدوئه وهو يقول :ــ « كنت امل ان تبقى انت على ظهر السفينة ، وتدعني وروجر نهبط ونجلب لك ما تأمرنا به » .

تملك الدكتور الغضب فصاح :ــ « ولم ينبغي ان تذهبوا انتم لا انا ؟ » ..

تأتأ هال :ــ « ذلك بسبب .. ذلك .. حسن .. انه يجهدك .. انه يجهد الاعصاب ! » .

قال الدكتور :ــ « ولماذا لايجهد اعصابكم .. هال .. ما الذي تريد الوصول اليه ؟ » .

شعر هال انه لايستطيع ان يمنع نفسه عن الحديث. فقال :ــ « حين كنا عند أساما ، نمشي على حافة

فوهة البركان .. لم تبد على مايرام .. اعني انك وقفت دقيقتين جامدا ، كأنك غبت عن الوعي ! » ..

ضحك الدكتور وقال :ــ « لقد رحل بك خيالك بعيدا ! .. ولست مدهوشا لذلك .. فللبركان دوما تاثير على الشخص الذي يراه لاول مرة .. ان مرآه وصوته كافيان لجعله يصاب بالجنون .. وذلك ما حدث لك ! » ..

ــ « بعد ذلك » .. تابع هال يقول :ــ « تلك الليلة في المطعم .. حين حدثت الهزة .. قفزت صارخا ورحت تضرب الحيطان بقبضتيك » ..

حدق الدكتور به وقد تلاحقت انفاسه وقال :ــ « لا اعرف ما الذي اصابك يا هال .. لم ينبغي ان تنسب هذه القصص المتوحشة الي ؟!.. انك لن تلبث ان تبرق الى ادارة المتحف الاميركي انني لست في تمام قواي العقلية .. يا لك من رجل غيور .. لم تكد ترى ستة براكين ، حتى رحت تذكر بانك اكثر معرفة مني » ..

قال هال :ـ « لم اتكلم عن البراكين ، بل عـن الغوص .. هل سمعت من قبل بسكرة الاعماق ؟ » .

اجاب الدكتور :ـ « كلا .. ولا ارى ثمة علاقة لها بموضوعنا ! » .

قال هال :ـ « الغواصون يصابون بها احيانا .. حيث يحشو ضغط الماء كثيرا من النتروجين في انسجة الجسم .. فاذا تعرضت لذلك ذهلت وغزتك الاحلام ! فتنسى اين انت ، وتظن نفسك في السماء او فـوق الغيم ، وتتملكك الرغبة في ان تسقط مبسم الانبـوب الهوائي من فمك ! » ..

ـ « لكن الافا من الغواصين قد غاصوا من غير ان يصابوا بشيء مما تقول ؟ » ..

ـ « نعم .. لكن ذلك يبقى امرا ممكنا ،وخصوصا مع شخص متوتر .. حسن .. متوتر الاعصاب » ..

أجبر الدكتور الغاضب نفسه على التبسم وقال :ـ

« ان خير دليل على ان اعصابي ليست متوترة هو انـي

لم الكمك بسبب هذا الهراء على انفك : .. والان .. كف عن اضاعة الوقت ، وأجلب لنا الرئات المائية » .

هز هال كتفيه ، وهبط يبحث عن الرئات المائيـة وفي اثره ، كان الدكتور المتحير مقطب الجبين ! » .

احضرت المعدات من المخزن ، وانهمك هـال والدكتور يفحصان الالات ، ويتأكدان من امتـلاء خزانات الرئات المائية بالهواء المضغوط .

★ ★ ★

ارتدى هال وروجر والدكتور بدلات الغوص ،وانتعلوا زعانف من المطاط تشبه ارجل البط . ولبسوا ، بعـد ذلك ، احزمة من رصاص يزن الواحد منها رطلا واحدا كي يقلل من قوة رفع الماء فيستطيعون الغوص ، وفـي رأس كل واحد ادخلت كمامة غطت العينين والانف ، فكان عليهم اذاك ان يتنفسوا عن طريق الفم حسب ،.. اما على الظهر فشدت رئة مائية بقوة واحكام ..

وحين اكملوا ارتداء بدلات الغوص ، ظهـروا

وكأنهم رجال هبطوا من المريخ ، بخراطيم الهـــواء الطويلة والمباسم في الافواه ! ..

تقدم الدكتور الشاب الى الحافة ، وهبط منها الى البحر ، يتبعه روجر وهال ، فلم تمض سوى لحظـات حتى وجدوا انفسهم في عالم اخضر شاحب ، يظلـل رؤوسهم برقع من حرير يتهادى بلطف ، وتخترقـه أعمدة راعشة راقصة من ضياء الشمس يقطعها الظل الاسود لبدن السفينة الراقد فوق سطح الماء .

ومرقت ، من فوقهم ، الاسماك الصغيرة وتطلعت اليهم بفضول وهي تفتح وتغلق افواهها .

اما الماء فكان دافئا بالنار التي تنبعث تحت سطح البحر ، وثمة دمدمة ثابتة ، وهزة عنيفة ، تنطلق كـل لحظة فترج البحر .

بدأ هال يحس بالضغط على طبلتي اذنيه فتذكـر ما تعلمه من ان ضغط الماء يتضاعف على عمق ثلاثـة وثلاثين قدما .. وبدأت الكمامة تضغط بشدة علـى

وجهه فزفر قليلا من خلال انفه كي يرفع ضغط الهواء داخل الكمامة فيعادل ضغط الماء .

★ ★ ★

اصبح الان بالامكان رؤية القاع .. لكنه كـان اغرب قاع بحر راه هال . كان عبارة عن فوهـــة بركان ، اشبه شيء بفوهات البراكين التي ابصر بهـا على سطح الارض ، عدا انها اصغر حجما . وكانـت جدرانها الداخلية شديدة الانحدار ، تهبط نحو اعمـاق غامضة ، تقذف بماء اسود متوهج بالنيران .

واحس ، وهو يطفو فوق الفوهة ، كأنه طيـار في بالون طائرة هيليكوبتر ، يتطلع من مكانـه الـى بركان ثائر ..

تصاعدت من الفوهة فقاعات كبيرة من غاز ، لم يلق اليها الغواصون بالا ، اذ كانوا يستنشقون من الرئات المائية هواء صافيا نقيا .

سبح الدكتور ببطء نحو فوهة البركـان يتبعـه

هال ، باحثا بعينيه عن اخيه الذي لم يظهر له من اثر !٠

اصبح الان بامكانهما رؤية قاع البركان ٠٠ انها عبارة عن بركة فائرة من حمم حمراء تتوقد بعنف في وسط البرد القارس للامواج ، وهي ما تفتأ تتقافز وتدمدم وتتفجر احيانا لتقذف نافورات من صخور ونار ٠

أحس هال بالارتياح وهو يرى الى الدكتور يستدير ثم يسبح باتجاه السطح ٠٠ فتبعه وحين وصلا الى حافة الفوهة توقفا يستريحان ٠

وفجأة ٠٠ هز البركان انفجار كبير ، وانطلقت نافورة عظيمة من حمم وصخور ، لم تلبث ان انهمرت وابلا ثقيلا في الماء ، لتستقر بعد ذلك ، على الجوانب الشديدة الانحدار ٠

لو استمر ذلك ٠٠ لو ظل هذا البركان يقذف بالمزيد من الحمم لتترسب على جوانبه ٠٠ لو ظل على هذه الحال ، اذن لارتفعت جزيرة « عفريت العلبة » فوق

سطح البحر مرة اخرى ،ولاقام اهل تونجا حفلا ساهرا، ولعادت محطات دراسة المياه فوضعت اسمها على خرائط البحر ! ٠٠

★ ★ ★

ها هو اخيرا ٠٠ الشخص المشاكس المولع بالحيل ٠٠ ها هو روجر قادما خلال الزرقة ، يشير بيديه وقد تملكه الانفعال نحو اسفل المنحدر ٠٠ وحين أصبح بين الدكتور وأخيه، عاد يسبح من جديد وهو يلتفت خلفه ليتاكد من انهما يتبعاه ٠

كان من الواضح ، ان الصبي قد عثر على شيء ٠ فتبعه الاثنان وكلما غاصا الى الاعماق ، ازداد ظلام البحر حلكة ، فتملكتهما الشكوك وهما ان يرجعا ٠٠

ولكن ٠٠ في تلك الظلمة الدامسة ، في تلك العتمة ، طالعهما شكل غريب ٠٠ ما كان ذلك الشيء صخرة ولا عشبا من اعشاب البحر ٠٠ كان ، وياللغرابة ، بيتا ٠٠ بقربه بيوت اخرى ٠٠ اه ٠٠ قرية مكتملة تحت البحر !٠

كاد الدكتور ، وهو يرى ذلك ، ان يصرخ من الفرح ·· اذن ،لم يضع روجر وقته عبثا ·· لقد اكتشف شيئا مثيرا ·· وراح يدور حول تلك البيوت ، قافزا في كل خطوة ، مسافة تزيد على العشرة اقدام !··

كانت تلك البيوت مبنية بكتل من الصخر ، مسقفة بالواح خشبية ، ثبتت بقوة ، فلم يجرفها التيار ، اما القش الذي غطاها ، ذات مرة ، فلم يبق له من اثر ··

راح الدكتور ، وقد تملكه الانفعال ، وينتقل من بيت الى بيت ، فاحصا طريقة البناء ، وملتقطا بين الحين والحين شيئا خلفه الناس الذين عاشوا هنا من قبل · وهم ان يدخل الى واحد من تلك البيوت ، لكنه سرعان ما قفز متراجعا حين انطلقت باتجاهه ذراع اخطبوط !··

استدار نحو هال وضحك باهتياج وقد كاد ان يسقط عن فمه انبوب الهواء · ولاحت لهال عيناه من وراء الزجاج قاسيتين متلامعتين ، ثم لم يلبث ان

راه يحرك يديه ويخبط بهما الماء كما يفعل طفل تملكه السرور ·

اذن ، لقد تحققت مخاوفك يا هال !!·· واصاب الدكتور ذلك الداء الغريب ·· ذلك الداء الذي يدعونه بشتى الاسماء ، فمرة يسمونه بـ « سكرة الاعماق » واخرى بـ « نشوة البحر » وثالثة بـ « اسر الاعماق » ·

اشار هال بيده ، ثم شرع يسبح باتجاه السطح ·· لكن الدكتور لم يتبعه ، فرجع اليه ثم اخذ بذراعه محاولا ان يسبح به نحو الاعلى · وما فعل ذلك حتى راح الدكتور يقاومه وعيناه تقدحان شررا ! ··

اوما هال لاخيه ، فجاء يسرع ، وقد عرف ان ثمة مكروه قد وقع للدكتور ، ثم اخذ بذراع واخاه بالذراع الاخرى ، وشرعا يصعدان به ، فلم يلبث ان انتزع نفسه منهما بعنف ، ثم راح يرقص مبتعدا بين البيوت وكلما حط على الارض ، دفعته الى اعلى ، فاستمرا ذلك ووثب وثبة عالية حطت به على عمود احد السقوف

فانطلق ضاحكا وراح يمشي على طول العمود ، حتى اذا وصل الى نهايته ، قفز نحو سقف بيت اخر ٠

تبعه الاثنان ، وحين أقتربا منه ، ابتسم له هال ، ومد يده ليقبض على ذراعه ، فلم يشعر الا بلكمة على وجهه ، وصرخة ضعيفة إطلقها روجر الذي تلقت بطنه لكمة اخرى !٠٠

وحين افاقا من دهشتهما ، كان الدكتور قد اختفى !٠٠٠ لقد مضى يثب فوق الواح السقوف ، سعيدا كمهر في حقل مليء بالبرسيم ٠

كان على هال وروجر أن يتبعاه مرة اخرى ٠وكان عليهما ان يسرعا قبل أن يقع الدكتور في احدى تلك البيوت فتتلقفه اذرع أخطبوط جائع مخيف ٠

فجأة ٠٠٠ استدار الدكتور واتجه نحو هال ، يمشي على مهل !٠٠٠ ثم توقف وكور يديه وراء أذنيه كما لو انه يصغي لشيء ما ٠٠٠ فلم يلبث أن دبت في وجهه ابتسامة حالمة ٠٠٠ انه يسمع الان ، او هكذا

يظن ، موسيقى رائعة ، واناشيد سماوية بهيجة،تطلقها جوقة من المنشدين ٠ وحانت منه التفاتة ، فرأىمجموعة من أسماك القرش ، وبدلا من أن يأخذ حذره ، اتجه نحوها ، وحين أصبح تحت اكبرها حجما ، سددجماع قبضته الى بطنها البيضاء !٠٠٠

لحسن الحظ ، ان ذلك النوع من أسماك القرش لم يكن خطرا فاكتفت تلك السمكة بهز ذيلها الطويل وابتعدت مع بقية الاسماك ٠ أصاب الذيل رأس الدكتور واسقط مبسم الانبوب من فمه ، ففقد الوعي وطفق يغطس والدم يسيل من جبينه ٠ أسرع روجر وهال وأحاطاه بأذرعهما وصعدا به نحو السطح ٠ وبينما هما على تلك الحال ، اذا بسمكة قرش من النوع الذي يهاجم الانسان تنجذب برائحة الدم فتقترب منهما ، فراحا يضربان الماء بأرجلهما لعل السمكة تخاف فتهرب بعيدا ٠

أخيرا ، شق روجر وهال سطح الماء وتطلعا

يبحثان عن السفينة فوجداها ترقد على بعد خمسمائة ياردة كاملة منهما !

اية مسافة طويلة ، ينبغي عليهما ان يقطعاهـا سباحة وهما يحملان الدكتور ، ولو اقتصر الامر على هذا لهان ، لكن ذلك القــرش اللعين ··· آه ··· ما العمل ؟

لم لا يصيح ؟!···

اسقط هال بسرعة مبسم الانبوب الهوائي مـن فمه ونادى ··· وعلى السفينة التقطت اذن أومــو المرهفة صوت هال ، فاندفع راكضا نحو المخزن الامامي ·

« اجلب القارب ··· سمكة قرش ! »

انزلق أومو ممسكا بالحبل الذي يربط السفينـة بالقارب ، وحين استوى فيه ، أسرع يجذف بكل قـواه ·

اما هال وروجر ، فقد استدارا باتجاه سمكة القـرش وراحا يضربان الماء ·

ان من العبث اخافة سمكة قرش خطرة مهتاجة ،

لكنهما كانا يحاولان على اية حال ··· ولم تنجـح المحاولة ·· فتحت الماء كانت تلك السمكة تدب باتجاه الاخوين ، وبين الحين والحين ترفع رأسها القبيـح المخيف ·

وفي الجهة المقابلة ·· كان القارب الصغيــر كسمكة « طائرة » يئز فوق الماء متجها نحو الصيحات الخائفة للصبيان ·

وفي اللحظة التي تهيأت فيها السمكة لتسـدد ضربتها ، وصل القارب يتبعه صرير قاس يصـم الاذان ·

★ ★ ★

صرخ أومو وهو يجذب الجسد المترنح الى داخل القارب :

« ماذا حدث للدكتور ؟ » ··

قال هال :ـ « لقد اسكرته الاعماق وفقدالهواء »·

ولم تمض سوى لحظات ، حتى كان الدكتور على ظهر السفينة يخلص من ماء البحر ، لينطرح فاقـد

الوعي .

قال هال وهو يجس نبضه :ـ « انه بخير وسيعود وعيه اليه » .

وما اكمل كلامه حتى طرف الدكتور بعينيه ثم فتحهما علـــى سعتهما ، وراح يديرهمـا بخمـــول ! .. ولم يلبث أن أسند ذقنه على كفه وبقي على هــذه الحال ساكنا بضع لحظات ، ثم ابتسم في وجه هــال ابتسامة مليئة بالمرارة والاسى وقال :

ـ « حسن يا بني .. وهكذا ترى انني لم اصب بذلك التشنج الذي تحدثت عنه ! » .

قال هال :ـ « تشنج ؟؟ ... لقد قلت انك ربما اصبت بسكرة الاعماق . » .

ـ « أوه .. وهل هو شيء مختلف ؟ » .

ـ « مختلف تماما ! » .

ـ « حسن جدا .. اذن ، لم اصب بسكرتـك .

سكرة الاعماق ..

كان من الواضح ، ان الدكتور لم يتذكر شيئا مما وقع له ، غير انه تمتم بضعف :ـ « لقد كانت قرية مثيرة ! » .

أضاف روجر :ـ « وكانت سمكة قرش مثيرة ! » ..

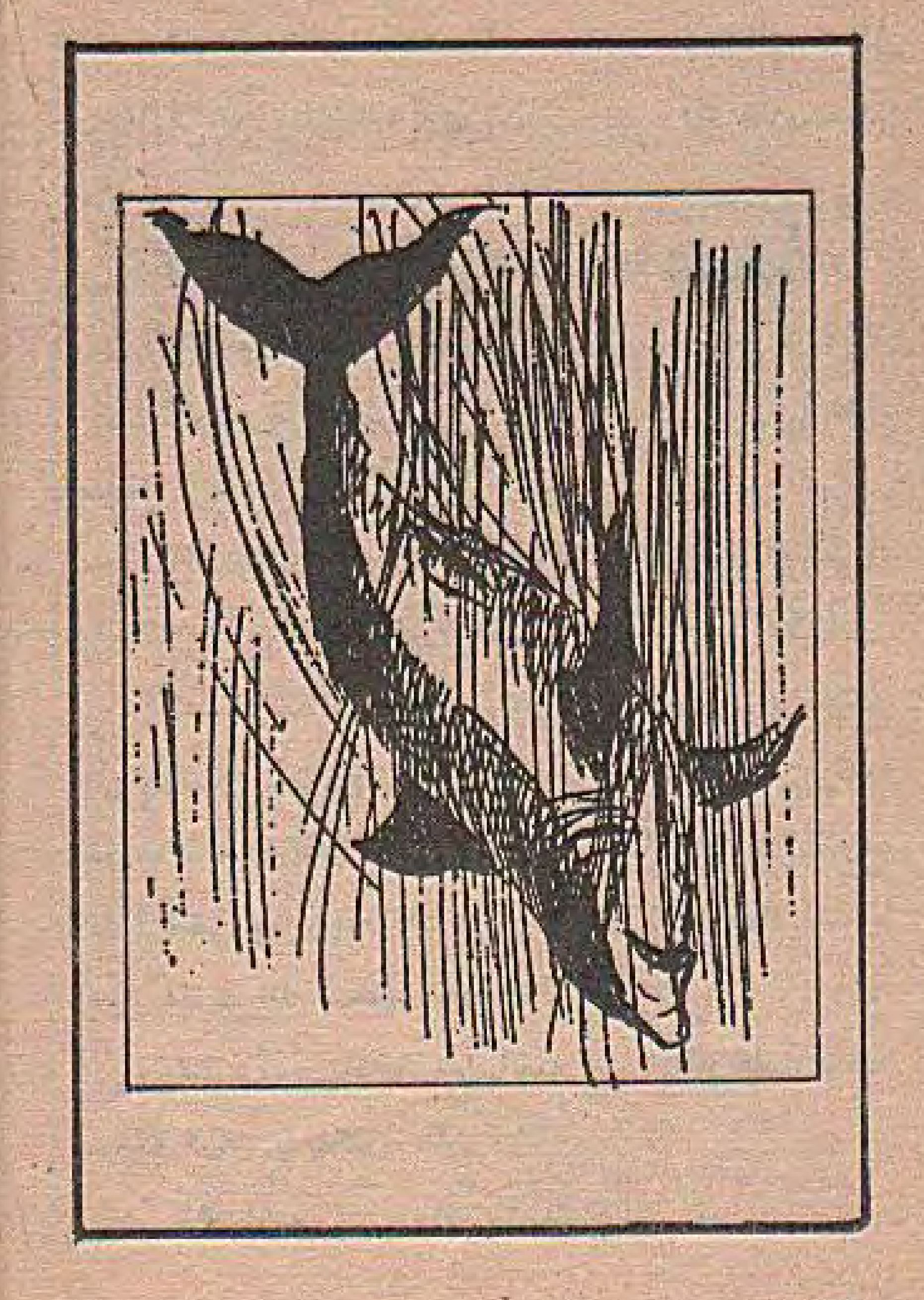
فتطلع الدكتور مستفهما وقال :ـ « لم يكن هناك سمك قرش يا روجر ... وربما ظننت بعض الظلال سمكا ! » .

قال هال :ـ « بل كان هناك سمك قرش احاط بك يا دكتور ، ولكنك لا تدرك ذلك .. لقد كنت ذاهلا ! » .

تطلع الدكتور اليه من غير أن يجيب ، ثم اعتدل في جلسته ، وشرع يخلع الزعانف عن قدميه .. وفيما هو منهمك في ذلك ، قال ببطء :ـ « هال .. لا أعـرف ماذا تبغي من وراء ذلك ... ويبدو انني كنت مخطئا حين فكرت انك شخص جيد » .

قال روجر ينافح عن أخيه :ـ « لقد كانت حقـا سمكة قرش يا دكتور دان » .

قال ارمو :ـ « وأنا رأيتها كذلك ! » ..



فقال دكتور دان وقد علت وجهه ابتسامةمريرة :ـ

ـ « وهكذا تتامرون علي جميعكم ، وتعلنـــون العصيان ، ولكنكم لن تفلتوا من العقاب ...

سوف أصبر عليكم حتى نصل الى (هاواي)... وحينئذ اية سعادة ستكون اذ اتخلص منـــكم ومـن سفينتكم ! » .

* * *

— ٣ —

جاءت الانباء تترى من (نايافو) ··· لقد ثار البركان هناك ···· فتأهبت سفينة « السيدة الرشيقة » ونشرت اشرعتها للرحيل ·

قال القبطان اك يحدث الفتية :ـ « التجار يدعونها بجزيرة « علبة الصفيح » !

تساءل روجر :ـ « الأن الناس فيها يتناولون طعامهم في علب « من صفيح » ؟

أجاب القبطان :ـ « كلا ·· انهم يعيشون على جوز الهند والسمك ··· لكن ثمة سببا اخر غريبا وراء ذلك الاسم · فلقد اعتادت السفن التي تحمل البريد على أن تبقى في عرض البحر ، ولا تزعج نفسها بالذهاب حتى الساحل ، بل ياتي اليها الاهالي سابحين،

فتلقى اليهم الرسائل من على ظهر السفينة في علب بسكويت فيروحون يدفعونها بايديهم حتى الساحل ، ثم يفرقونها على أصحابها في الجزيرة !···

★ ★ ★

كانت المسافة من جزيرة « عفريت العلبة » حتى جزيرة « علبة الصفيح لا تتجاوز المائتين من الاميال ···· فوصلت السفينة اليها في اليوم نفسه الذي انطلقت فيه ·

وكان اول شيء بدا للبعثة منها عمود من الدخان، ثم لم تلبث الجزيرة أن ظهرت بعد ذلك للعيان ·

قال الدكتور يحدث القبطان ، في حين راح الفتية يستمعون :

ـ « لقد قرأت وصفا عن هذه الجزيرة في احدى كتب الجيولوجيا ··· انها عبارة عن بركان واحد كبير ، يمتد حتى قاع المحيط لمسافة ستة الاف قدم ، ومعنى ذلك ان ارتفاعه يزيد على الميل ··· لكن حافة

الفوهة ، هي الشيء الوحيد الذي يبرز منه فوق سطح البحر ·

والى الداخل من الفوهة ثمة بحيرة عرضها ثلاثة أميال ، ومن المفترض أن تكون هناك فتحة في الحافة، لو استطعنا العثور عليها ، لامكننا النفوذ الى داخل تلك البحيرة » ·

قال القبطان مرتابا :ــ « لا أرى ذلك أمرا حسنا ·· اذ كيف نورط أنفسنا في داخل فوهة بركان متفجر ثائر ؟! »

قال الدكتور :ــ « الهيجان ينطلق من منافذوشقوق في الحافة ، وليس من داخل البحيرة » ···

ــ « أوليس من المحتمل أن تتفجر البحيرة بين لحظة واخرى ؟ » ··

ــ « ذلك محتمل الحدوث ··· لكننا جئنا الى هنا لندرس هذا الامر الذي تتخوف منه ·· فكيف سندرسه ان لم نكن قريبين منه ؟! » ···

وفي تلك الاثناء ، صعد روجر وهال الى سطح السفينة ، ليلقوا نظرة على المكان ، فالتفت القبطان يحدث الدكتور حديثا خافتا ··· « ثمة امر أود أن أقوله لك ·· عليك الا تلقي بنفسك في مأزق ، يجعلك تفقد السيطرة على أعصابك يا دكتور » ·

فلم يتمالك الدكتور نفسه وصاح :ــ « ذلك أمر مضحك ·· لقد حشى الصبيان اذنيك بالحكايات الغريبة عني ···

لا تلق سمعا اليهم يا قبطان ··· انهما ماكران محتالان ، ويفكر اكبرهما بتشويه صورتي كي أصرف من الخدمة فيأخذ مكاني » ·

ــ « كيف يستطيع ذلك ، وهو لا يعرف الا القليل عن البراكين ؟ » ·

قال الدكتور :ــ « انه لا يعرف القليل كما تظن··· لقد زار العديد من البراكين حتى الان ودرس كل كتاب جلبته معي » ···

قال القبطان ساخرا :ـ « وهكذا ، فانت تخاف منه .. من صبي لم يتجاوز التاسعة عشرة من العمر! » ..

عصف الغضب بالدكتور فراح يصيح :ـ « انا لا أخاف أحدا لكني لا اثق بهال ولا باخيه ولا حتى باومو » .

ـ « وهل تثق بي ؟ » .

قال الدكتور وهو يحاول تغيير مجرى الحديث :ـ « انك تتحدث كالاخرين ! » ...

ضحك القبطان وقال :ـ « أرح نفسك يا دكتور ، فلا أحد يريد خداعك ... لقد اخطأت في حقهم ، واغلب الظن انك لن تصدق لو قلت لك انهم انقذوك يوم أصبت بسكرة الاعماق » .

شحب وجه الدكتور وتسمرت عيناه قاسيتين على القبطان وقال :ـ « تلك حكايتهم ، ولم تكن انت هناك لترى بنفسك .. ومع ذلك فها أنت تصدق ذانك الصبيين وتحمل كلامهم على محمل الجد ! » .

واذ رأى القبطان ما سبب للدكتور من غضب وألم ، حاول أن يخفف عنه فقال :ـ « انس الموضوع .. والان ، أين تقع تلك القنال التي حدثتنا عنها ؟ » ..

قال الدكتور :ـ « في مكان ما في هذا الجانب .. ومن المحتمل أن تكون في ذلك المكان الواطيء المنخفض ! » .

واذ اقتربوا من ذلك المكان الذي أشار اليه الدكتور ، أصبح باستطاعتهم رؤية الممر الذي يؤدي الى البحيرة ، وكان ممرا شديد الضيق ، لا يتعدى عرضه الثلاثين قدما ... فلم يمنع ذلك « السيدة الرشيقة » أن تنزلق خلاله بيسر ، لتجد نفسها ، للمرة الاولى ، في داخل بركان !!

تطلع افراد البعثة حولهم ... وأنى اتجه بصرهم ، كان جدار الفوهة ينتصب أمامهم شاهقا يصل ارتفاعه لستمائة قدم ، يتعداها الى الالف من جهة الشمال .

وذكرهم منظر هذه البحيرة ببحيرة اخرى زاروها

من قبل ، هي بحيرة (اوريجون) ، عدا أن مياهها كانت هادئة ساكنة وكان البركان عندها ميتا ·

أما هذا فبركان حي ! ··· وبرغم ان البحيرة بدت ساكنة لا ينطلق منها سوى عدد قليل من نافورات البخار ، فان ثمة صفا من فوهات صغيرات كانهن المداخن مافتئن يرسلن سحائب من دخان وبخار ، راح الدكتور يعدهن فلم يلبث أن قال :ـ « ثلاثون فوهة ·· هن بمثابة الاولاد الصغار للفوهة الكبيرة العظيمة ! » ·· وفيما عدا ذلك الجزء من الحافة ، الجزء الموحش الرهيب ، كانت بقية الجزيرة في غاية الجمال ، تغطيها غابات كثيفة من أشجار المانجو وجوز الهند والتنبول وكثير غيرها من أشجار وشجيرات استوائية أخرى ·

وبين تلك الاشجار بزغت قرى كثيرة عد الصبيان تسعة منها !

قال القبطان :ـ « يا له من أمر محير ··· كل اولئك الناس يعيشون على حافة بركان !! »

أجاب الدكتور :ـ « ألف وثلاثمائة شخص يعيشون هنا ، متعلقين بهذا المكان رغم خمس ثورات براكين في اقل من مائة عام ! » ·

وصمت لحظة ، ثم راح يجيل بنظره في البساتين الجميلة والقرى الدافئة المريحة مستلقية على قمة الجدار ، ولم يلبث أن قال :ـ « لا الومهم كثيرا ، فهو مكان جميل ، طالما بقي هادئا ! » ·

ولم يكن أحد من افراد البعثة قد رأى المكان من قبل الا أومو ، فهذا البحار الاسمر الشاب الذي ولد في البحار الشمالية وعاش هناك ، سبق له ان زار جزيرة « علبة الصفيح » في قارب صغير من قوارب التجارة التي تجوب البحار ·

وفي هذه الاثناء ارتعشت البحيرة ، فتراقصت « السيدة الرشيقة » وراحت تعلو وتهبط فوق الامواج ·

تناول القبطان المنظار وراح ينعم النظر ، فلم يلبث أن هتف قائلا :ـ « انه انهيار في أحد الجوانب ·· لقد

هوت الصخور وانزلق الرماد ليسقطا في الماء فيحدثا تلك الهزة العنيفة » ..

وفجأة ... تناهت الى اسماعهم صرخات،فانبرى الدكتور يسال القبطان :ـ « ما هذا الصراخ ؟.. انظر يا اك ثانية »

تمتم اك وهو ينظر مليا :ـ « اه .. لقد تداعت عدة بيوت ... وها هم اهلها يتراكضون كانهم نمال تملكها الفزع » .

قال الدكتور :ـ « أخشى أن يكونوا مقبلين على اوقات عصيبة .. والا فماذا تتوقع من ثلاثين فوهة حين تثور مرة واحدة ! » .

وفي غضون ذلك ، راحت السماء تمطر وابلا من رماد وفلذات حمم على ظهر السفينة ، وترسل بين الحين والحين قطعة ضخمة من صخور الخفاف . واذ التقط روجر واحدة منها وقذف بها الى الماء ، راحت تعلو وتهبط مثل جزيرة صغيرة صفراء .

فجأة ....

ارتطم بالسفينة جسم اخر واحدث صوتامكتوما، فاسرع روجر يريد التقاطه .. لكن اخاه هال صاح محذرا :ـ « لا تلمسه .. انه ساخن » ..

قال روجر :ـ « ولكن الصخرة التي التقطتها لم تكن ساخنة ؟ » .

أجاب هال :ـ « أعرف ... ولكن ذلك كانخفافا مليئا بالهواء ، أما هذا فكتلة « مكورة من حمم » ..

روجر :ـ « حسن ... وما الفرق بين الاثنين؟» .

هال :ـ « ان الخفاف كتلة من الصخر الصلد ، أما هذه فهي كتلة مكورة داخلها مجوف مليء بغاز ينفجر فتتفجر الصخرة الى شظايا » .

وبينما هما يتحدثان ، تعالى صوت هدير أصم ، وأرعدت كتل الصخور والرماد وهي تهوى الى البحيرة . وفي تلك القرية التي تقع في قمة الحافة الشمالية،قرية «أجناها» ، راحت الكنيسة الصخرية تتأرجح ، ثم لم تلبث ان هوت لتستوي والارض ... وتفجر وابل من

الحمم فوق البيوت فأشعل فيها النيران ··· فخرج الناس وقد أصابهم الهلع وضاقت بهم السبل وتقطعت فهم لا يرون منفذا ينجيهم من غضب البراكين ·

صاح الدكتور :ـ « يجب ان يتم اخلاؤهم ··· لكن سفينتنا صغيرة وعددهم كبير ··· ولهذا سأبرق طالبا العون » ·

ولم يلبث أن هبط السلم الى الغرفة الصغيرة ، وأبرق من هناك يطلب سفينة تأتي على وجه السرعة لتخلي سكان جزيرة « علبة الصفيح » ·

لم يستلم الدكتور سوى جواب واحد من سفينة بخارية تدعى « ماتوا » ، واخبره قبطانها ان سفينته على بعد مائتي ميل من الجزيرة ، وانه لا يستطيع الوصول الا عند الصباح ·

وفي هذه الاثناء انطلقت عصفات نار من البراكين واهتزت الجزيرة هزة عنيفة فانهدم جزء من الحافة وسقط في البحيرة ·

وحين رأى القبطان ذلك ، صاح في وجه الدكتور:ـ

« يكفي هذا ··· سأخرج بسفينتي من هذا الجحيم ، شئت أم أبيت ! » ·

ثم اعطى أوامره لـ (آومو) ، فاستدارت السفينة واتجهت نحو الممر · وهناك ··· كانت تتربص بالسفينة دهشة محزنة! ··· لقد وصلت الى الحافة لتكتشف أنه لم يعد ثمة ممر !·· فقد قذفت الهزة الارضية بملايين الاطنان من الصخور في تلك القناة التي لا يتجاوز عرضها الثلاثين قدما ، فملأتها تماما ·

وفي المكان الذي كان يستقر فيه الماء الصافي ، قام الان جدار من الصخور يبلغ ارتفاعه عشرون قدما !!!

— ٤ —

صاح القبطان وهو يصب جام غضبه على الدكتور :—

— « لقد فعلتها وورطتنا في داخل هذا البركان! قل لي ما أنت فاعل يا دكتور ؟!

تمتم الدكتور :— « نحن في هذا الامر سواء!٠٠ ان لم نستطع فعل شيء فسوف ننتظر حتى الصباح ، حتى تأتي سفينة « ماتوا » ٠

هتف القبطان :— « ونترك السيدة الرشيقة هنا ؟!

٠٠٠٠ لا ، ولا بحياتك !٠٠ لست بتارك سفينتي هنا تغرق وتحترق ٠٠

لسوف الزم مكاني طالما بقيت هي في هذا المكان ! » ٠

وفي هذه الاثناء ، غيرت السفينة من اتجاهها ويممت صوب جانب البحيرة البعيد عن البراكين ،رغم أنه لم يكن في مأمن من الرماد المتساقط والحمم والصخور ٠

وتجمع الناس على قمة الحافة وراحوا يلوحون بأيديهم للسفينة التي لم يكن امامها شيء تستطيع تقديمه لاولئك المنكوبين ٠٠ وكان جدار الحافة شديد الانحدار ، فلم يستطع احد هبوطه او تسلقه ٠

وفي كل دقيقة تمر ، كان المزيد من البيوت يتحول الى لهب ورماد ٠ وبدت سقوف القش والجدران كوريقات في قبضة النار ٠

لم يكن امام افراد البعثة من خيار ، فطويت الاشرعة ومكثت السفينة نهبا للحمم المتفجرة التي كانت تشعل الحرائق الصغيرة في السفينة ، فيسرع الفتية لاطفائها بخراطيم المياه ٠

ولم تكن الفوهة الكبيرة قد اظهرت شيئا يدل

على الهيجان سوى دفقات من بخار ، ظلت تنطلق هنا وهناك ، الا انها الان بدات تنبيء عن طلائع النار دمدمة وغازا ودخانا !

اما الجزر الصغيرة الثلاث فقد شرع الدخان يتصاعد من براكينها الصغيرة ، لتخور وتجار بعد ذلك ، وتقذف بوابل من الحمم المتقدة التي تتفجر وتدوي كالمدافع المرعدة الغاضبة !..

قال روجر :ـ « اغمضوا أعينكم ، فما اسرع ما تتخيلون انفسكم في وسط معركة بحرية كبيرة ! » .

قال هال :ـ « لكن الافضل لك الا تغمض عينيك والا تلقيت خبطة لا تسر ، على ام رأسك ! » .

تعلقت الاعين بالسماء وقد راحت تقذف بوابل تلو وابل من الصخور .. ومن حسن الحظ ، ان تلك الصخور كانت ترى على مسافة بعيدة قبل وصولها فاستطاعوا أن يتقوها ويزوغوا عن طريقها ، ولكن ليسمعوا بعيد ذلك صوتا مدويا حين ترتطم بسطح

السفينة العاجزة !

ثم جاء الليل ،... فتوهجت الصخور كأنها كرات من نار سقطت من السماء ، وتفجرت مئات الحمم في الفضاء قاذفة شظايا حمراء في كل اتجاه ، وبدت صفحة السماء كما تبدو حين يقام عرض فخم من عروض الالعاب النارية الكبيرة .

قال روجر يحدث اخاه :ـ « تذكر يا هال ذلك العرض الذي رأيناه في معرض نيويورك الكبير .. لقد كلف مليونين من الدولارات .. في حين لم يكلفنا هذا شيئا ! » .

ضحك هال وقال :ـ « انك محظوظ بالفطرة ! » ..

ثم قفز ليتجنب صخرة ساقطة !

وفي هذه اللحظة مر القبطان مسرعا وهو يحمل دلوا من الماء ، فاسرعا في اثره بخراطيم المياه ، وحين اطفيء الحريق .. قال هال :ـ « لم تريدنا ان ننزل يا قبطان .. انك تحتاج الينا هنا .. ولا اظنك

تريدنا ان نفتقد المرح ‥ اليس كذلك ؟ » ‥

زمجر القبطان وهدر صائحا :ـ « يالكما من احمقان ‥ امرح هنا ؟!‥ امرح ونحن مسجونون هنا في داخل بركان ؟ » ‥

قال هال :ـ « انت على حق ! » ‥ ثم شرع يجرف بخراطيم المياه الرماد المتساقط على سطح السفينة ‥ وأمسك روجر بجاروف وراح يبحث عن قطع الحمم الضخمة المتساقطة ‥ ثم وضعه فوق رأسه فبات كخوذة من فولاذ تصطدم بها الصخور فترتد بعيدا عنه ٠ وكلما وجد صخرة او حمما او خفافا جرفها بعيدا وقذف بها الى الماء ٠

بقي روجر وهال على هذه الحال ساعتين ، يحميان السفينة ويردان عنها هجمات البراكين ‥ واخيرا حانت اللحظة التي التقطا فيها الانفاس ، حين هدأت براكين الجزر الثلاث واقلع وابل النار عن السقوط ! ‥

وتسلل اليهما ، وقد ران الهدوء ، تسلل اليهما بصيص امل في موت البركان ‥ لكن ذلك البركان العجوز ‥ بركان « علبة الصفيح » لم يكن اذاك قد مات ، بل كان يلتقط انفاسه ويستعد لعرض اخر جديد ٠

وبدأ العرض بدوي يصم الاذان حين انفلق الجرف الصخري فجأة واندلع اللهب من الفتحة التي احدثها الانفلاق ٠ وظهرت غيوم غريبة خضراء وهوت لتغطس امامهم وتغوص ٠

قال الدكتور وهو يتشمم :ـ « انه غاز اوكسيد الكبريت والامونيا والازوت » ٠ شم

وما اكمل كلامه حتى ارتفع صوت السعال وبدا الجميع كانهم سمك اخرج من الماء والقي به الى الارض !‥ وشعر هال بالاختناق واحس كأن دثارا سميكا قد وضع فوق انفه وفمه ، وشعر بالنعاس والخدر يدبان في جسده ويغلقان جفنيه فتتملكه امنية

وحيدة : ان يستلقي ويسلم نفسه للرقاد .. ولم يعد هناك شيء يهمه .. لا السفينة ولا نفسه ولا حتى اخوه !..

وفي تلك اللحظة ، في تلك اللحظة التي بدا فيها قد استسلم لنوم وكادت غازات الكاربون ان تطرحه ارضا ، واذا به ينتفض بعنف ويتمتم : « لنبعد من هنا ! » ..

قال القبطان :ـ « ليس ثمة ريح .. لكني استطيع استخدام المحرك » .

صاح الدكتور : « لا تفعل ذلك » .

ولكن صوته ضاع في خضم الهدير الذي انبعث من المحرك ، حين قفز اومو كالقطة وضغط على المشغل ، لكنه ما كاد يفعل ذلك حتى دوى انفجار اصم ، وانطلقت السنة اللهب ، ووجد اومو نفسه يطير مسافة عشرة اقدام ثم يسقط على ظهر السفينة ، ولم يلبث المحرك ان صمت من جديد .

قال الدكتور :ـ « من حسن الحظ ان ذلك جيب صغير من الغاز والا لكان قذف بنا وبالسفينة وبكل شيء » .

قال القبطان وهو يجلس بتثاقل على باب ارضي للهبوط ويضغط بيده عل رأسه الدائخ :

« أذن فنحن عالقون بهذا المكان ؟! » ..

تساءل الدكتور :ـ « الا توجد في السفينة كمامات غاز » .

سخر القبطان وقد اخذته الدهشة :ـ « أقنعة غاز ..؟ من سمع بسفينة تحمل اقنعة غاز ؟! » ..

غمغم هال وقد انطرح الجميع وتمددوا عاجزين :ـ

ـ « أقنعة غاز ! » ..

وفجاة .. فجاة .. أيقظته فكرة لاتخطر على بال .. فراح يصيح : « اقنعة غاز .. عجبا .. ان لدينا منها .. اليس لدينا رئات مائية ؟! »

لم يفهم الاخرون في البداية شيئا .. كانت

الغازات الخانقة والحرارة الشديدة والعرق قد أحاطت بعقولهم فمنعت تلك الفكرة من النفاذ · لكنها في النهاية استطاعت ان تجد لها منفذا فلم يلبثوا ان راحوا يتمتمون :ـ « ولم لا ؟ ·· رئات مائية ·· لم لا ؟! » ·

ثم ، وعلى حين غرة ، هبوا واقفين ، ثم اسرعوا ، ما استطاعت سيقانهم المترنحة ، وهبطوا السلم الى الطابق السفلي ، ثم عادوا الى السطح وانهمكوا يرتدونها بارتباك ·· وحين وضعت المباسم في الافواه ، تحدر اليهم هواء عذب نقي صاف · فلم يلبثوا ان شعروا وكانهم قد خرجوا للتو من حلم مرعب مخيف ، وبدأ الضباب الذي كان يغلف ادمغتهم ، بدأ ذلك الضباب ينقشع شيئا فشيئا ·· وعلى ضوء البيوت المحترقة شاهدوا وجوههم المنهكة تتوهج ثانية وتتفتح عيونهم على امل جديد ·

لقد انتصرت الحياة اخيرا !··

ولكن ·· ما كاد اولئك الفتية الشجعان يتحررون من الغاز ، حتى برزت أمامهم مشكلة الحرارة المحرقة ،

وهي ما تفتأ ترتفع وتزداد ·

انحنى هال بتثاقل عبر الحاجز ، وتطلع تحته الى المياه السوداء ·· هي تبدو الان ، كما لم تبد من قبل ، مغرية باردة تدعوه لان يدفن نفسه فيها ·· « اه لو استطعت ! » ·· هكذا حدثته نفسه التواقة المتلهفة ! ··

« من المؤلم ان تكون قريبا كل هذا القرب من البرودة في حين تكاد تهلك من الحر ؟! » ·· « لم لا ·· لم لا ؟ ·· لم لا ادفن نفسي تحت الامواج البـاردة ؟·· لم لم أفكر في ذلك من قبل ؟! » ·

وفجأة ·· راه الاخرون ، وقد علتهم الدهشة يضحك ويشير بيده ، ثم يتسلق الحاجز ويلقي بنفسه في الماء ·

انتظر هال متلهفا ان يحذو الاخرون حذوه وينظموا اليه ، قبل ان يفوت الوقت ، وتهزمهم الحرارة فيحرموا من تلك الراحة اللذيذة التي يبعثها في جسده الماء ! ·· ولم تمض سوى لحظات حتى

كان الجميع يعومون بالقرب منه وقد برزت رؤوسهم فوق الماء وانطبعت على وجوههم ابتسامات عريضة مفعمة بالرضا !..

وكان ذلك لم يعجب الحرارة فراحت تشوي الوجوه بلفحها ، فغطست الرؤوس باحثة عن ملجأ يقيها ، ووجدته على عمق عشرة اقدام .. وهناك .. ظل الجميع معلقين ، يتنفسون بيسر ، وفي عظامهم تسري برودة لذيذة طيبة !..

وفوقهم .. كان ثمة وهج احمر ، يقطعه ظل أسود للسفينة التي بقيت فوق سطح الماء . وبينما هم في ذلك ، اذا بظل يقف فوق رؤوسهم ويتعلق هناك ، فتراكضت المخاوف والهواجس واقشعرت الابدان ..

أيكون سمكة قرش ؟.. كلا .. انه يبدو اعرض واشد سكونا .. حسن .. ما هو اذن .. انه ليس سمكة القمر فهو اعرض منها ، ولكنه قد يكون خفاش البحر ، تلك السمكة الطائرة ذات الذيل الشبيه بالسوط .

وفجاة .. اندفع روجر نحو ذلك الظل ، ثم لكمه بقبضته ، فلم يحصل الا على بضعة خدوش ، وبقي ذلك الشيء الاسود جامدا لايظهر حراكا ..

انضم الدكتور وهال الى روجر ، وحين اصبحا تحت ذلك الشيء ، مدا ايديهما وتلمساه ، ثم سبحا خارجه ورفعا راسيهما فوق الماء وتطلعا ليجدا ان ذلك الشيء الاسود ما هو الا جزيرة صغيرة من الخفاف .

★ ★ ★

الى متى سوف يظلون هنا تحت الماء ؟.. سوف ينفد الهواء النقي خلال ساعة واحدة ، وحينئذ لن يبقى امامهم من خيار سوى الصعود الى السفينة مرة اخرى .

وفجاة ..

بدا سجنهم المائي يظلم حولهم شيئا فشيئا !..

ماذا يعني ذلك .. هل يعني ان البركان قد هدأ ، بدا ذلك للدكتور تفسيرا بسيطا ساذجا .

او يكون ؟٠٠ أيكون الخفاف المتساقط قد بدأ يتراكم فيغطي سطح الماء ٠٠ وحينئذ سيتكون سقف صخري فوق رؤوسهم ويظل يزداد سمكا وعرضا حتى يقطع امامهم سبل الخلاص ٠

سيكون امرهم كاولئك الغواصين الذي غطسوا في المياه القطبية ، بحثا عن حطام سفينة في القاع ٠ وحين ارادوا الخروج ، اصطدموا بسقف الثلج الذي صنعته كتل الجليد ٠ وكان ذلك شبيها بما يحدث فوقهم ، سوى ان سقفهم من الصخر ، لا من الجليد ٠

★ ★ ★

لم يبق الان سوى ربع ساعة وينفد الهواء ، فاندفع هال يبحث عن منفذ في ذلك السقف الاسود المديد ، وبعد دقائق من البحث الشاق وجدا ثقبا عريضا فدفع راسه الى الخارج من خلاله ٠

كان اللهب ما يزال يتدفق من الصدع ، لكنه

استحال لهبا احمر ، وخفت الحرارة عن ذي قبل ، لكنها ظلت ابعد عن الاحتمال ، حتى ان هال شعر كانه ادخل راسه في تنور ، وبدأت عيناه تؤلماه ، ولم يلبث ان غطس تحت الماء ثانية ، لكنه لم يكد يفعل ذلك حتى راى الضوء فوقه يتلاشى كما لو ان صخور الخفاف قد التحمت فاغلقت الحفرة التي خرج منها ٠

كان الظلام مطبقا ، فلم يستطع هال ان يميز شيئا ، وراح يتلمس طريقه في تلك الظلمة املا ان تقع يده على روجر او الدكتور او اي شخص اخر ، فلم يلبث ان احس بشيء بارد ناعم ، ما ان جسه بيده ، حتى وثب قافزا ، فعرف انه سمكة خائفة !

اخيرا ، اطبقت يده على رسغ صغير ٠٠ انه روجر اخوه ، وذلك الشيء الذي يشبه لوامس الاخطبوط ٠٠ كلا ٠٠ انها ذراع أومو او القبطان او الدكتور ٠

حسن ٠٠ اذن فهم لم يتفرقوا في هذه اللحظات

التي يتقرر فيها المصير ، فيخرجون بعدها او يظلون تحت هذه السقف من الصخور .

★ ★ ★

عجبا .. انه يمص الفراغ .. لقد نفذ الهواء !.

سرعان ما ابعد هال يده عن روجر وادار بها العتلة الصغيرة في خزان الهواء المشدود الى ظهره كي يستخدم الذخيرة التي لن تدوم سوى خمس دقائق فحسب !.. وحين انتهى من ذلك ، مد يده نحو اخيه ليعرف ان كان أدار عتلة خزانه .. فوجد انه قد فعل..

بعد ذلك ، راح يستكشف ما فعل الدكتور فوجد ان العتلة في خزانه قد بقيت على حالها ، فلواها ، كي يندفع هواء جديد الى رئتيه :

صعد هال ، بعد ذلك نحو السطح ، ساحبا بقية افراد البعثة معه ، وقد عقد العزم على أمر ما !..

ان البحث عن منفذ في ذلك السقف الطويل العريض . هكذا فكر هال .. ان البحث لن يجدي

نفعا ، وسوف تتبدد جهوده في البحث عن ثقب قد لايوجد الا على بعد مئات الياردات من مكانه . وحتى لو تفرقوا في كل الاتجاهات ، فقد يعثر احد على الثقب .. لكن الاخرين سوف يهلكون !..

★ ★ ★

ارتفع هال حتى لامس راسه سقف الخفاف ، بعد ذلك سحب الصخرة التي لامسها راسه الى الاسفل واقحمها في يد روجر ، ثم دفعه بعيدا .. حزر روجر خطة اخيه .. ينبغي ان تزال الكتل كتلة كتلة حتى يتكون ثقب في السقف !.. ويجب ان يأخذ كل حجر مسافة بضعة ياردات قبل ان يطلق ، والا عاد والتحم مرة اخرى . ولم يلبث الاخرون ان انضموا الى روجر وهال وانهمكوا ينقلون الصخور حتى تكون اخيرا ثقب كبير ..

قبض هال على روجر ودفعه عبر ذلك الثقب فزحف عبره حتى وصل الى السطح .. ولم يلبث ان

انحنى ومد يده يساعد الدكتور الذي اعقبه في الخروج ، ثم تلاهما اومو فالقبطان واخيرا صعد هال ، الذي لم يستطع الخروج الا بالكاد ..

عب الرجال ما بقي من الهواء ، ثم اسقطوا المباسم من افواههم ، فوجدوا لدهشتهم ، ان تركيز الغازات الخانقة قد انخفض كثيرا ،وان الحرارة لم تعد بتلك الشدة التي لا تطاق .

بقي عليهم الان ان يصلوا الى السفينة التي تبعد عنهم مئات الاقدام ، وبرغم انها لم تكن مسافة بعيدة ، الا ان السير على ذلك السقف الصخري لم يكن يبعث على الامان التام . فلربما اذابت الحرارة الفظيعة السمنت الذي يشد الصخور الى بعضها فينهدم بهم انذاك ويلقيهم الى الماء كرة اخرى .

★ ★ ★

وبالرغم من تلك المخاوف ، بدأ الرجال يسيرون واحدا بعد واحد ، ببطء شديد وحذر ، فلاينقل احد

خطوة حتى يطمئن الى المكان الذي سيضع قدمه فيه .

وفي اثناء المسير ، كادت قدم الدكتور ان تزل لولا ان كان القبطان قريبا منه فسحبه وأنقذه من الوقوع .

اخيرا .. اصبحوا فوق سطح السفينة .. ولكنهم ما كادوا يستلقون حتى انهار الدكتور فجاة فاقد الوعي !..

جس هال نبضه فوجده سليما فاشار على الاخرين ان ينزعوا عنه ملابسه المبللة ، ثم حمل الى فراشه لينام .

لم يلبث الاخرون ان تفرقوا كل الى سريره المثبت الى الجدار . اما أومو فقد استلقى على سطح السفينة واغفى ..

لكنه في الحقيقة ظل متهيئا لان يثب في اية لحظة ويؤدي ما يامره به القبطان !!.

ـ ٥ ـ

كان القبطان خائفا على سفينته لايستطيع ان يستقر على حال ، ظل يروح ويجيء وهو ما يفتأ يغمغم ويتذمر ، ويتطلع تارة الى اللهب المندلع من الصدع ، واخرى الى القرية التي تتصاعد منها النيران، وثالثة الى الينابيع المتقدة وهي تقذف بالحمم من فوهات البراكين الثلاثين ·

ولقد انبأه انف البحار الذي لا يخطأ ، ان تلك الغيمة العظيمة من البخار والدخان والغاز ، تلك الغيمة التي تسد منافذ السماء فوقه ، انما هي نذير الاعصار القادم بعد حين ·

وفجأة ·· خطف برق ذو شعب كثيرة ، كما لو ان مردة يتبارزون بالحراب ، وفي جانب آخر من تلك

الغيمة ، ما فتأ برق يشبه الملاءات يخطف بين الحين والحين ، كما لو ان احدا ينشر غسيلا على حبل معلق ثم يعود فيخطفه فجاة ويغيبه في الظلام ·

واثناء ذلك كله ، ظل القبطان يردد وهو يثبت قدميه على السطح :ـ « كم اكره هذا ·· كم اكره هذا » ··

كم ·· اه ·· اه ·· ما هذا ؟! ··

لقد تحددت الحبال فجاة بالضياء ، وتوهجت الصواري كانها عقارب ساعة مضاءة في الليل وغمرن من القمة حتى القاع بضوء لامع فبدون كالاشباح ·

صرخ القبطان : « انها علامة طيبة ! » ··

قال اومو :ـ « كيف ؟ » ··

هتف القبطان :ـ « انها نار القديس (اولوس) حامي البحارة ، وهي علامة رعايته لنا ·· لسوف نخرج من هنا بسلام ! » ··

ان نار القسيس الموس ، لم تكون في حقيقة الامر

الا تفريغا كهربائيا موجبا ظهر فوق السارية الامامية على هيئة نجمة برتقالية اللون ، اما السالب فجثم فوق السارية الرئيسية على هيئة نجمة زرقاء ٠

وفي هذه الاثناء ، سمع صوت يشبه الفحيح او الفرقعة قادما من الصواري المضاءة والحبال ٠ وكان ذلك الصوت يعلو حين يبرق البرق ويموت حين تظلم السماء ٠

طوال ساعة كاملة ، ظلت النجمتان تتوهجان فوق رؤوس الصواري ، ثم اختفتا حين ضرب السفينة وابل ثقيل من المطر ٠

ومع المطر جاءت الريح ٠٠ ريح وحشية متخبطة في دوائر تشبه الدوامات !٠٠ وبدأت المرساتان الامامية والخلفية تنجرفان ، فلن تلبث السفينة حتى تحمل الى احدى الجزر الثلاث او ترتطم بالجرف وتتحطم على الصخور ٠

هرع هال وروجر الى السطح وهما يهرولان

باضطراب ، ووقفا هنالك عاجزين لايستطيعان شيئا ، فما يكون الانسان في قبضة عاصفة ؟!٠٠ وحتى الدكتور الذي كان ما يزال يغط في النوم ، حتى ذلك العالم لم يكن يقدر على شيء اكثر من اخبارهم بالاسباب !٠٠

بدات البحيرة تتلوى وتتواثب تحت الريح وراح الخفاف يكشط بدن السفينة ويمحو الطلاء ٠

وحين رأى القبطان ذلك ولول واعول :ـ « اه سفينتي ٠٠ لسوف يثقبها الخفاف ! » ٠٠

اما الحرارة فصارت جزءا من الماضي ، اذ بات الرجال مبللين حتى جلودهم ، وهم يرتجفون من البرد ٠

ومع ذلك فلم تكن الحرارة قد هزمت تماما ٠٠ فما تزال هناك فوق فوهات البراكين التي تقذف بالنار في وجه المطر وفوق البيوت التي ظلت تحترق رغم المطر الغزير !٠٠ ودمدمت الارض المهتزة فتشقق الجرف الصخري وتصدع وانهارت كتل كبيرة من الصخور ٠

وعند الفجر ، كانت العاصفة قد هدأت ، غير ان الهزات لم تتوقف ، ولم تتوقف اصوات الانفجارات التي كانت تعقبها على فترات قصار ·

قال القبطان يسأل الدكتور الذي حضر الى سطح السفينة عند الشروق :

ـ « ما سبب هذه الضربات المدوية يا دكتور ؟ » ·

أجاب :ـ « انها اصوات الانفجارات التي يسببها البخار المتدفق في الشقوق ، اذ يصادف ان يندفع الماء داخل الصدوع التي تحدثها الهزات الارضية فيضرب الحمم المحرقة ويستحيل الى بخار يندفع من تلك الصدوع » ·

وفي هذه الاثناء ، راحت الشمس تجفف ملابس الرجال وتبعث في اجسادهم الدفء ، وتشعرهم بالراحة بعد ذلك التعب الذي لاقوه والخوف الذي استشعروه ·· لكنها كانت راحة بسيطة صغيرة سرعان ما تنطفيء حين يتذكرون انهم مازالوا مسجونين في داخل بركان ثائر يهددهم في كل لحظة من اللحظات ·

ـ ٦ ـ

راح هال يجيل النظر فيما حوله ، شارد الذهن ، قليل الحيلة ، مهدود الجسد ·

وبينما هو في تلك الحال ، اذا به يسمع دويا مرعدا ، ثم يشاهد دفقة من البخار تندفع من احد الشقوق ·

ـ « سنخرج من هنا ! » ·

تمتم هال ، ثم اندفع يركض الى حيث يجلس الدكتور وابتدره صائحا :ـ

« وجدتها ··· لقد وجدت طريقة للخروج من هنا ! »

فتطلع اليه الدكتور مستفهما ، في حين راح هو يتابع الحديث :

ـ « الم تقل للقبطان ان الانفجارات التي سمعناها كانت بسبب البخار ... اذن ... لماذا لا توجه كميات كبيرة من الماء ، بواسطة الخراطيم ،الى تلك التجاويف الصغيرة الموجودة في الممر ..

لسوف يتحول الماء الذي يلامس الحمم الى بخار حجمه ضعف حجم الماء ستمائة مرة ، وحينئذ سيضيق به المكان ، فيتفجر ، وينكشف الممر ! » ...

قال روجر وكان يستمع الى الحديث :ـ « ولم لا يهرب من الشق الصغير » ...

اجاب الدكتور :ـ « نعم .. سيهرب منه جزء بسيط جدا اما الباقي فسيبقى محصورا في داخل المكان ...

الم تر يوما قطارا ؟.. الم تلاحظ ان البخار يبقى محصورا ليشغل المكابس ، فلا يتسرب من الصمامات الا قليل ! » ..

* * *

اندفع هال والدكتور من السفينة ، ثم راحا يتسلقان الممر وهما يحملان خراطيم المياه ، وحين وصلا الى الشق ، وجدا ان عرضه لا يتجاوز القدم لكنه كان يسمح ، على اية حال ، لفوهة الخرطوم بالدخول .

وكان ذلك الصدع الصغير يؤدي الى كهف بدا انه يمتد امام او تحت الممر ، وقد أضيء بوهج الحمم البيضاء الساخنة .

وكانت أعينهما تصل الى مسافة خمسين قدما ، من غير أن تستقر على أثر لقاع ..

* * *

أعطى هال اشارة البدء لـ (اومو) ، فاندفع الماء

وفي هذه الاثناء ، تسربت المخاوف الى روجر ،

من الخراطيم هادرا الى داخل الكهف المتقد ، فلم تلبث أن ارتفعت سحابة من بخار .

فخشي أن يتفجر المكان قبل أن يستطيعوا الهرب ...

لكن سيل الماء المستمر كان يستحيل الى لـــون أحمر معتم ، وكان الماء الذي يوشك ان يسخن سرعـان ما يتم تبريده بالماء الذي ظل يتدفق من الخرطوم ، .

قال الدكتور ، بعد دقائق خمس :

ـ « هذا يكفي » ...

فلوح هال بيده ، فلم يلبث الماء أن توقف عـــن التدفق ، وانسحب الاثنان مسرعين الى السفينة التـي كانت تنتظرهم لتستدير على عجل وتبعد عن المكان ..

★ ★ ★

لبثوا هناك ... على سطح السفينة وقداحتبست منهم الانفاس ... كانت الدقائق تمر متباطئة لاتنتهي، وخيل اليهم انهم في وقفتهم تلك يشبهون رجلا يقفأمام محكمة وينتظر الحكم عليه ... و ...

وفجأة ...

من خلال ذلك الصمت الشامل الذي ران عـــلى المكان والشبيه بصمت الطبيعة الذاهل قبل حـــدوث

عاصفة او اعصار .. من خلال ذلك الصمت تناهى الى اسماعهم صوت صفير مدو أصم ، وكأن الاف القطـــر تمر ، وهي تصفر ، بهذا المكان ...

ثم ، وعلى حين غرة ، دوى انفجار هز ارجـاء المكان ، انفجار مروع ، جعل الامواج الخائفةتتراكض في كل اتجاه ، فباتت السفينة كأنها في بحر هائجمائج لا يستقر على حال .

★ ★ ★

حين خفت الضجة ، وبدأ الهدوء يعود ثانيـة ، كانت لهفة الرجال لا توصف ، لمعرفة النتيجة .

فأندفعوا بسفينتهم الى مكان الانفجار ، لكنهـم لم يستطيعوا ان يميزوا في البداية شيئا ... اذ كان البخار يتصاعد ويغطي المكان ... وحين بدأ ينقشـع شيئا فشيئا ، شدهت أعينهم بما رأته ، وتعـــالت الصيحات !..

يا للفرحة ... ان تلك الصخور السوداء ،تلك

الجلاميد لم تعد تجثم على المكان ··· لقد قذف بها البخار الغاضب بعيدا ومزقها اربا اربا !··· وتبدى الممر المائي مشرقا بهيا في ضوء الشمس ··· وتبدت أمواجه هينة يسيرة رفيقة بالسفينة التي اندفعت خلاله نحو البحر !···

* * *

على ساحل ذلك البحر العظيم ، وقف الوف الناس الذين شردتهم البراكين ، شعث الشعور ، ممزقي الملابس ، يعصف بهم الحزن والالم والخوف ·

وتعالت صيحات الاطفال الحادة ، واختلطت بصيحات الرجال الخشنة وهمهمات النساء ، وهم يصعدون ، باضطراب وجلبة ، الى السفينة التي وصلت في الصباح ·

وحين صاروا على متن السفينة واحتضنهم البحر الصامت بهدوئه ، دبت الى وجوههم المنهكة ابتسامات ضعيفة واهنة وتحركت أيديهم ملوحة بالوداع ·

وفي اللحظة استدارت بهم السفينة مبتعدة ··· سقط الدكتور الى الارض ينشج ويبكي ···

* * *

انه يتذكر الان ، للمرة الاولى ، شيئا كان قد نسيه منذ زمن طويل ··· فكان ضبابا كان يلف دماغه، وانقشع فجأة ، ليرى نفسه طفلا في الخامسة من العمر، تحمله أمه الخائفة وتصعد به الى السفينة المزدحمة المائجة بالناس ·

وتناهت الى سمعه ، اصوات انفجارات بعيدة ورأى بخياله البيوت التي راحت تتداعى الى الارض والسنة اللهب وهي تندلع من قمة الجبل الشاهقة نحو السماء·

واذ انحنى هال وربت على كتفه رفع اليه وجها مبتلا بالدموع ، ولم يلبث أن تمتم وهو يبتسم :

« أرجو المعذرة يا هال ! » ·

ــ انتهت ــ